المقتطف

الجزء الثالث من المجلد الثالث والاربعين

١ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩١٣ — الموافق ٣٠ رمضان سنة ١٣٣١

المؤتمر الطبي

عقد المؤتمر الطبي السابع عشر في مدينة لندن في السادس من اغسطس ويقال ان اعضاءه بلغوا ٧٥٠٠ ورحبت به الحكومة الانكليزية ترحيباً رسمياً وافتتحهُ البرنس ارثر اوف كنوت حاملاً اليه التحية من ملك الانكليز فقال

« لا حاجة بي الى الاعراب عمَّا يخامرني من السرور اذ قد اتيح لي ان اقوم بينكم وارحّب باسم الملك بممثلي كل فروع العلوم الطبية الذين اتوا من اقطار المسكونة واجتمعوا الآن في هذا المكان . وقد سُرَّ جلالتهُ ان امرني بالاعراب عن رجائهِ الوطيد ان يأول هذا الاجتماع العام الى تقدُّم علم الطب الجليل ونفع نوع الانسان . لما كان جلالة المرحوم الملك ادورد ولياً للعهد افتتح هذا المؤتمر بلندن سنة ١٨٨١ وانهُ يسرني جدّاً ان اشرُف بالاقتداء بهِ وافتتح هذا المؤتمر العظيم الآن . كان رئيس المؤتمر سنة ١٨٨١ السر جمس پاجت وخصرهُ المسيو پاستور الذي اصبح العالم كلهُ مديوناً لمكتشفاتهِ العجيبة . ولكن المكتشفات التي اكتشفت حديثاً مثل اشعة رنتجن والراديوم وهما من افضل الوسائل في ايدي الاطباء لتشخيص والعلاج لا يقلان عن مكتشفات پاستور فائدة . ولا يخامرني ريب اني انطق بلسان كل الحاضرين اذا قلت ان عندنا هنا خير خلف لخير سلف بالسر توماس بارلو رئيس هذا المؤتمر و بالنواب الذين يمثلون البلدان الاجنبية والاملاك البريطانية عبر البحر . واسمحوا لي ان اذكركم انهُ وان كان هذا المؤتمر مجتمعاً في لندن فهو ليس ضيفاً على لندن وحدها بل على كندا واستراليا وزيلندا الجديدة وجنوب افريقية والهند لانها كلها لها نواب في لجان المؤتمر المختلفة اي ان الامبراطورية كلها مشتركة فيهِ وهو حلقة اخرى من الحلقات التي تربطها بعضها ببعض

واطلعني على شيء من الالمام بالمعارض العمومية وبما لها من النفع الجزيل في تقوية

العلاقات بين البلدان المختلفة ولذلك اثق ان النفع العام يكون اوفر جداً من مؤتمر عام مثل هذا لانهُ يسهل لاعضائهِ ان يفيدوا و يستفيدوا من تبادل الافكار ووقوف كل منهم على آراء غيرهِ ومكتشفاتهِ . مؤتمر يضم نحو ثمانية آلاف من الاعضاء هو غاية في العظم . ولا بد ما تحصل منهُ فوائد كثيرة عمومية ولو كان كثير من مباحثهِ خاصاً بالاطباء لاسيما وان المختارين للكلام فيهِ هم من نخبة علماء المسكونة . ولا أُطيل الكلام بذكر المسائل التي يطلب منكم البحث فيها فان ذلك سيوضحهُ السر توماس بارلو ولكنني اغتنم هذه الفرصة لتهنئة لجنة الاستيال على نجاحها بعملها الذي نرى ادلتهُ امامنا اليوم ولا شك عندي انها تجد عند ختام المؤتمر ما يوفيها حقها من الشكر

واقول في الختام اني مسرور اعظم سرور بالترحيب بكم الآن وقد طُلب مني ان اخبركم بان جلالة الملك يسرُّ بان تكونوا ضيوفهُ في قصر ونذزر . وارجو ان تشعروا بان البلاد بلادكم وان كانت بلاد البعض منكم بعيدة جداً عن هذه البلاد . ويسرني الآن ان افتتح هذا المؤتمر باسم الملك

ثم طلب السر توماس بارلو من السر ادورد غراي وزير الخارجية ان يرحب بالنواب الاجانب فوقف وقال

ان ترحيبي بهذا المؤتمر بالنيابة عن الحكومة بعد ان فتحهُ صاحب السمو الملكي لمن الواجبات التي اقوم بها عن طيب نفس واني غني عن القول ان ترحيبي هذا تشترك فيهِ كل جوانحي . ولقد عبَّر لورد مورلي عن عواطف الحكومة نحوكم بكلام كلهُ بلاغة وحسن بيان يتعذَّر عليَّ ان آتي بمثلهِ فانا أُشاركهُ في ما ابداهُ من الاحترام لكم والاعجاب بالاعمال التي يشترك فيها مؤتمركم وبالتقدم العظيم الذي تقدمهُ علم الطب في عصرنا . واننا لنحسب اجتماعهُ عندنا فخراً لنا لما يجويهِ من الرجال الذين يشار اليهم بالبنان . وفوق ذلك اننا نرحب بكم لانكم لا تحتاجون الى «مداخلتنا» (نضحك لان الاشارة الى المداخلات السياسية) . والعلم بمعناهُ الحقيقي حق مشاع لكل الامم يتناظر ارباهُ ولكن مناظراتهم ليست دولية فان الرجال الذين وصلوا الى درجة من المعرفة تحسن ان تسمى علماً لا يختلفون باختلاف شعوبهم ومناظراتهم معها كان اشتراكهم في سياسة بلادهم وتحزبهم لها شديداً

ونحن العامَّة يهمنا امر الطب والجراحة اكثر مما يهمنا امر علم آخر من العلوم . اننا ننتظر من بعض العلوم ان تزيد مسرات الحياة وتزيل السآمة منها واما علمكم فقد تدربنا على ان نتنظر منهُ اشياء اهم من ذلك لكل واحد منا فاننا ننتظر منهُ ان يزيل آلامنا ان ينقذنا مما

نعدهُ اكبر بليَّة علينا . وكما ننظر الى الطب والجراحة افراداً ننظر اليهما اجمالاً ايضاً ولا نفضل طبهما علماً من العلوم. ومن رأيي ان علمي الطب والجراحة لا يقصران عن غيرهما من العلوم في البحث عن سر الحياة او سر الكون . والناس ينظرون اليكم متوقعين منكم ان ترفعوا طرفاً آخر من اطراف الستار الذي يحجب الخفايا ويستر الغوامض

ويظهر لي ان علم الطب اصلح حالاً من غيره من حيث علاقتهُ بالجمهور فقد قلَّ استخفافهم بهِ وصاروا اميل الى الترحيب بالمكتشفات العلمية منهم الى مقاومتها بالاغاليط القديمة او على الاقل صاروا يرحبون بالمكتشفات المتعلقة بعلم الطب اما سائر العلوم فلا اجسر ان اقول عنها مثل ذلك بهذا التأكيد فاذا حسبنا السياسة علماً مثلاً نرددت كثيراً في الحكم على رأي الجمهور فيها لانهُ لا يرجى تعليم علم لمن يحسب ان كل الناس يعرفون ذلك العلم (ضحك) . اما الطب والجراحة فاعتقد ان عقل الجمهور ميال الى تعلمها وراغب فيهِ وشاكر لمن يفيدهُ شيئاً فيهما ولذلك فالملك والحكومة والشعب يودون ان يرحبوا بكم اشد ترحيب قلبي وكلنا مسرور سروراً حقيقيًّا . ان لندن تشرفت بصيرورتها مكاناً لمؤتمركم وبحضور هذا العدد العديد من اشهر رجال الارض الذين جاءوا من اماكن بعيدة لحضور هذا المؤتمر وللاشتراك في ما يزيد مذاكراته علماً وقدراً

تقدم علم الطب في ثلاثين سنة

وهي خطبة رئيس المؤتمر السر توماس بارلو

انقضى جيل كامل منذ اجتمع هذا المؤتمر اجتماعهُ الاخير في مدينة لندن . ما اعظم تلك الحلقة من علماء الطب والجراحة التي احاطت حينئذٍ بولي العهد . جدير بنا ان نعمل بقول الحكيم ونمدح العظماء والذين ولدونا . كان رئيسنا السر جمس پاجت باتولوجيًّا عظيماً . كان عقلهُ مفعماً بكل ما كان يعرف من التشريح والامراض الجراحية والاستعداد المرضي . كان معلماً من الطبقة الاولى فصيح العبارة شديد الغيرة لا يفوقهُ احد من معاصريهِ . وكان معنا جنر وغل وولكس وغيرهم معلمينا العظام في الطب العلاجي . لا امل لنا ان نجد امثالهم الآن لانهم كانوا قبلما صار الاختصاص في الطب وفيهم انتهى تاريخ الاطباء العظام الذين كانوا يتقنون كل فروع الطب ولا ينقطعون لفرع واحد منها . وكان معنا جكسن الموضح لعلم الاعصاب الجديد الذي اثبت داود فريركثيراً من آرائهِ بالامتحان وكان معنا ايضاً يوناثان هتشنسن المحلل المدقق لتاريخ الامراض الطبيعي في جهات عديدة وهو المنظم لمؤتمر معرضنا الكلينيكي

والباثولوجي . وكان معنا رؤساء الجراحة الباطنية سبنسر ولس وتوماس كيث ولوصن تايت . وخطب فينا هكسلي اعظم موضحي العلوم الطبيعية في علاقة الطب بعلم البيولوجيا وكان بيننا ايضاً وليم بومن الذي ادت مباحثهُ الدقيقة في تشريح العين الى وضع علم طب العيون الجديد . واختم الكلام على رجال بلستر الذي كان حينئذٍ في اوج عملهِ العظيم . لقد فقدناهُ منذ عهد قريب شيخاً شيخان من الايام ونحن نذكرهُ اليوم بوسام مؤتمرنا

واخواننا الذين اتونا من البلاد الاخرى لم يكونوا اقل اشتهاراً من رجالنا في الطب والجراحة . فرخو نسطور التشريح المرضي الذي يحبهُ اهل هذه البلاد ويكرمونهُ كما يحبهُ اهل بلادهِ ويكرمونهُ خطب خطبة نفيسة في فائدة التجارب الباثولوجية . وفلكمان تكلم عن تقدم الجراحة . وكوخ انتقل بنا الى سبيل جديد اذ تكلم عن الميكروبات التي وجدها في كثير من الاحوال المرضية وابان اساليب نموها التي تمتاز بها . وفن لنجنبك وأسمرخ تكلما على الجراحة الحربية . ودندرس وسنلن على طب العيون وبشلي ومرّي و بتليوني كانوا يمثلون الطب الايطالي . وجاء من الولايات المتحدة اسثن فلنت الطبيب الشهير ومعلم التشخيص الطبيعي و بلس امير المكاتب الطبية و بنفر الجراح الشهير . وكانت المدرسة الفرنسوية العظيمة ممثلة ببرون سيكار وشاركو ولانسرو و بوشار وفرتاي وكثيرين غيرهم ولكن كان بيننا فرنسوي آخر فاق كل معاصريهِ ولمكتشفاتهِ الاثر الاكبر في علم الطب ولو لم يكن طبيباً وهو لويس باستور . خطب في التطعيم وعلاقتهِ بكوليرا الدجاج والحمى النجالية فحملهُ ادبهُ على تعليق مكتشفاتهِ الحديثة بما فعلهُ اودوجنر بالجدري البقري . واذا اردت ان أتكلم عن كل اولئك العظام اعوز في الوقت . حقًّا انهُ كان في الارض جبابرة في تلك الايام

ان المؤتمر الذي التأم سنة ١٨٨١ اثبت لنا ان الطب سار في سبيل جديد فان عصر الخرافات والتقاليد كان قد زال ولكن عصر البحث العلمي الدقيق لم يكن قد انحط ولا انتهى بل كان قد قوي وتشعب الى شعب مثمرة بواسطة اساليب الامتحان الجديدة . ولولا اشغال باستور ولستر وكوخ التي كُشفت لنا منذ ثلاثين سنة لكان ما نبديهِ في مؤتمرنا هذا الآن حقيراً ضئيلاً

ان الرجال العظام الذين ذكرتهم الآن كانوا مثل قنن الجبال الشاهقة فوق سهل جمهور الاطباء . وقد نسأل الآن اين القنن في عصرنا . والسؤال ضئيل مضأل لاننا صرنا من فضل رجالنا الذين طرقوا كل سبل الطب واشتغلوا بكل فرع من فروعهِ من غير ملل ولا ضجر في مستوًى من الارض العالية لا جبال فيهِ ولا اودية بل هو سهل واسع فسيح عظيم الارتفاع من المعارف المحققة المنظمة . انظروا الى فروع هذا المؤتمر التي كانت ١٥ فرعاً سنة ١٨٨١

فصارت الآن ٢٣ فرعاً واضيف اليها ثلاثة فروع تحتها وقد اضطررنا الى زيادة هذا التقريع بما تولّد من زيادة البحث واتساع نطاقه . واضطرنا حب الاشتراك في العمل الى تنظيم اربعة عشر اجتماعاً تجتمع فيها الفروع المختلفة ونتذاكر في مواضيعها المختلفة

وان قيل ما هي السبل التي اتبعناها ووسعنا بها اعمال اسلافنا . قلت ان اول هذه السبل بلا جدال البكتيريولوجيا علماً وعملاً . فان اكتشاف كوخ العظيم لميكروب السل نُشر في السنة التي تلت مؤتمر لندن . وما اوسع المعارف التي عرفناها على اثر هذا الاكتشاف . ونحن آخذون الآن في التمييز بين الجوهري والعرضي من نواحي الامراض وملابساتها . ومعلوم ان الطبيعة تولّد من الميكروبات مواد تبطل فعلها وتولّد لها اعداء تهلكها كما يشاهد في الامراض الحادّة التي تشفى لذاتها فاستُخدم هذان الامران المهمان في علاج الادواء اي العلاج بالمصل (سيروثرابيا) والعلاج بالتطعيم (فكسينثرابيا) . وما من حاجة بي لاطالة الكلام على باشلس كلبس لفلر وسبب الدفتيريا ولا على فائدة امم انواع المصل الدوائي (المضاد للدفتيريا) ولا على المشابهة بين الاشياء الميكروبية التي توجد في التفث وبين الاعراض التي تظهر في البحث العلاجي ولا على استطراد البحث الميكروبي في التيفويد الذي كان من ثمارها اكتشاف الطعم الواقي منها . ولا نزال نجهل اموراً كثيرة من حيث الميكروبات التي تسبب الامراض الحادة النوعية . وقد عرفنا حديثاً ان المرض المعروف بشلل الاطفال هو من الامراض المعدية وعرفنا كثيراً من خواص ميكروبه الخدّاع والفضل في ذلك لفلكنر . وتقدم علم الحلميات (البروتوزولوجيا) وعلم الديدان (الهلمنثولوجيا) وكل ما يتعلق بهذه الفضوليات تقدماً عظيماً

الامراض الاستوائية

كان لهذه المباحث شأن كبير في امراض البلدان الحارّة مثل حمّى مالطة والطاعون والملاريا ومرض النوم فقد كشفت غوامضها كلها او بعضها ففي بعضها كشفت درجات الداء كلها فعرفت الطريقة الشافية لعلاجه وفي بعضها كما في الملاريا ومرض النوم والحمّى الصفراء عرف جانب فقط من سير المرض الطبيعي ولم يعرف كلهُ حتى الآن ولكن ما عرف كفى لاستعمال الوسائل الصحية التي تقي منهُ ولو كانت نفقاتها كثيرة . وهنا علينا ان نقدم واجب الشكر لاخواننا الاميركيين لاجل عملهم المجيد البديع في كوبا وبناما وجزائر فيلبين وكوستاريكا ولما يبذلونهُ من الجهد لمكافحة الانكيلستوما Ankylostoma في الدنيا كلها . وقد وسّعت الباثولوجيا الكيماوية نطاق معارفنا وزادت وسائلنا وعرفت حقيقة المناعة على

نوع ما . والبحث الدقيق في بناء الاعضاء وصفات الدم الكيماوية وغيره من سوائل الجسم دعت الى تنقيح كتبنا الفسيولوجية وتوسيع معارفنا الباثولوجية واصلح تشخيص كثير من الامراض وعلاجها . ومنذ ثلاثين سنة ابان اورد لهذا المؤتمر امثلة من المرض الذي سماهُ Myxœdema اي الايزيميا المخاطية وقد اثبت قبل بعد ذلك انهُ حالة بله في البالغين . وما عرف من امر الغدة الدرقية وعدم كفاءتها وما ينتج عنهُ من الاحوال المرضية انما عرف بالاستقراء العلمي فكان سبباً لدرس الافرازات الداخلية ولاستعمال الخلاصات الآلية التي آخرها واهمها خلاصة الغدة النخامية

وقد نتج من درس الاختلافات الصغيرة في طعام البالغين والصغار والاطفال في درجات الهيئة الاجتماعية المختلفة وفي بلدان مختلفة فوائد جمة من حيث لا ينتظر . ولم يزل البحث جارياً في مسألة اللبن ولقد عرفنا خطأ احكامنا السابقة وصار النظافة في نقل اللبن من اول حلبهِ الى حين استعمالهِ معنًى اكثر مما كان لها قبلاً . واتضح ان المرض الغريب المعروف باسم بري بري الذي نظنهُ من قبيل الاسكربوط يحدث بين اكلة الارز من قشر الارز ونزع الغلاف الداخلي من بزورهِ . ونتج من التدقيق في درس افعال الالكحول المزمنة ان فُتح باب جديد لدرس الامراض العصبية . واهمل استعمال الالكحول في الامراض على طول زمان استعمالهِ وصار لمعالجة الامراض التدرنية بالهواء المطلق تأثير كبير في معالجة امراض أخرى مزمنة وفي احوال الناس اليومية

ثم ان علاج التعفن الذي يحدث في اللثة من جراء آفة في الاسنان كان لهُ فائدة كبيرة لانهُ ادّى الى معرفة اسباب عسر الهضم لآفة تنتج في الامعاء . وما استفدناهُ في تشخيص الامراض بواسطة اشعة رنتجن بمثابة خاصةً سادسة . وما في هذه الاشعة واشعة الراديوم من القوة الشفائية فتحا باباً جديداً في العلاج . وقد تجاسرت وقلت سابقاً ان علم الطب دعا الى ان تعاد كتابة بعض الفصول في علم الفسيولوجيا واضيف الى ذلك الآن ان البحث في امراض القلب قد دعا الى تنقيح ما كتب عن بناء القلب وحركاتهِ المنتظمة وغير المنتظمة

فوز الجراحة

واذا اردت ان اتكلم على الفوز العظيم الذي فازتهُ الجراحة في هذا العصر لم اجد في قادراً على ايفاء الموضوع حقهُ فاكتفي بالاشارة الى المجال الواسع الذي فتح امام الجراحين بفضل الوقاية التي اشار بها لستر . وانا نتعجب من جسارة اخواننا الجراحين حينما يبلغنا انهم يفتحون الجمجمة ويفرغون جيوبها ويستخرجون الخراجات الدماغية وينزعون الاورام الدماغية

ويبحثون في الجسم الخفي ويزيلون التصاق البليورا بالتامور فيستريح القلب ويصلون الى اجزاء الاحشاء ويزيلون الاحشاء المأوفة . وقد اوصلنا اتفاق الجراحين والاطباء الى ما سماه موينيهان وغيره بالباثوجيا الحية . ونحن نرحب بما جمعه الجراحون من الاعراض والعلامات والاحصاءات واضافوه الى خزانة المعارف الطبية فان فائدة ذلك واضحة في اننا صرنا ننقذ من الموت اكثر ممن كنا ننقذهم في الجيل الماضي وفي اننا نجاسرنا على دخول حرم القبر ومعهد الامراض العقيمة وان الخطر من العمليات الكبيرة قد تقلص ظله وكاد يزول تماماً

الصحة العمومية

ويتعذر عليّ ان اعدد الاساليب المختلفة التي اشترك فيها علم الطب مع معايش الناس وشرائعهم ومنافعهم وما اشبه مما يعبّر عنهُ بالصحة العمومية . فالمدارس والتلامذة وساكن الفقراء والمناجم والمعامل والصنائع المضرة بالصحة كلها استفادت من العلوم الطبية ولا تزال تستفيد . واجسر واقول انهُ لا تمضي سنون كثيرة حتى نرى كل اساليب الحياة وكل فروع الاعمال قد نفذت وتطهرت واستنارت بواسطة العلوم الطبية . لقد ابنت لكم في ما تقدم اننا ورثنا ميراثاً كبيراً وان هذا الميراث مثل سهل مرتفع من العلوم والمعارف وقد علت الشعور التي فيهِ ونحن لا نشتغل فيهِ الآن كآحاد مستقلين بل كلٌّ منا يشترك مع غيره في شغلهِ وموافيضنا متصلة متحمة وكل يوم تمتد الينا يد المساعدة من العلوم الاخرى ونرى ما يجب لنا وحدة العلوم الطبية وشمولها

اخواني الذين اتونا من البلدان الاخرى نشكركم على معارفكم واختباراتكم التي جئتمونا بها الى هذا المؤتمر لكي نشترك كلنا في النفع العام واجسر واقول ان نتيجة اعمال المؤتمر في اسبوع اجتماعهِ المتضمنة في ٢٣ مجلداً ضخماً ستدهش العالم المتمدن بغزارتها ومتانتها واني ارحب بمجيئكم الى بلادنا العزيزة علينا الى هذا الوطن القديم للعربة . واتكلم بالنيابة عن الاطباء الذين من الجزائر البريطانية وعن اخوانهم الذين جاؤوا من سائر الممالك البريطانية فانهم كلهم يشاركوني في الترحيب القلبي بكم فليزد هذا المؤتمر كنوز المعارف المفيدة والرفاق والوئام بين الناس وليهدم كل ما ينفصل الامم والبلدان بعضها عن بعض في سعيها وراء تقدم علم الطب ونفع الامم بهِ